أطفال حول الرسول
صلى الله عليه وسلم
(٣)



إبراهيم محمد حسن الجمل

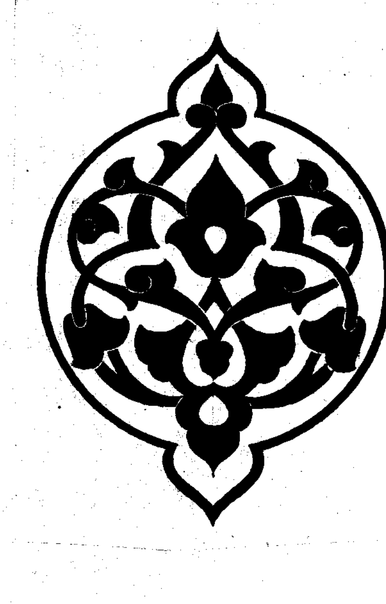
دار الفضيلة



نَسَـبُهُ وَنَشْـأَتُـه

يُنْسَبُ عبدُ اللهِ بن عمر (رضى الله عنهما) إلى أَبيه عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزَّى من بنى عدى المعروفون بالشرف والمجد من قُريش [1] التى كانت تقيم بمكة حيث وُلِدَ عبدُ اللهِ بن عُمر .

كانت ولَادَتُهُ فى بيت أبيه عمر (رضى الله عنه) ، وهو بيت عزٍّ وغِنًى ، وما تزال آثار عهد الجاهلية باديةً عليه ، فـ (عُمَرُ) لم يكن آمَن بما جاء به رسول الله محمد ﷺ حين ولادة ابنه ، وما يزال مرتبطاً بسادات قريش ، وهو واحدٌ منهم ، فكانوا يوكِّلونه سفيراً عنهم ، فإذا وقعت حربٌ بينهم وبين غيرهم ، بعثوه للمفاوضة عنهم ، وإن نافرهم أو فاخرهُمْ مفاخرٌ ، رضوا به مفاخراً ومنافراً [2] .



كانت ولادة عبد الله (رضى الله عنه) قبل هجرة رسول الله ﷺ بحوالى عشر سنوات فى السَّنة الثالثة قبل البعثة ، ومكة فى ذلك الوقت غاصَّة [3] بالأحداث ، والناس قد انقسموا إلى فريقين : فريق يتَّبع الطريق الذى يدعو إليه رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ من الإيمان

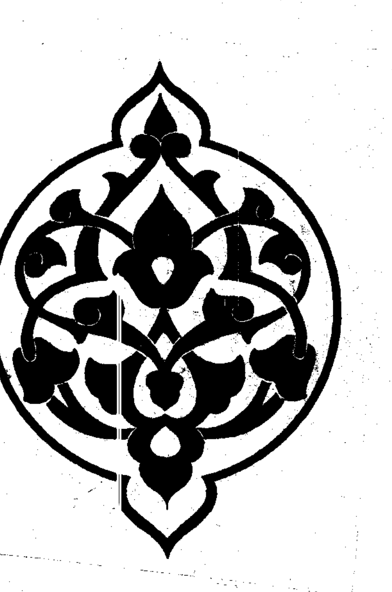
---

(١) **قريش** : قبيلة كانت تسكن مكة .
(٢) **نافر** : خاصم وافتخر .   (٣) **غاصَّة** : ممتلئة .

بالدعوة الجديدة ، وهى عبادة الله وحده لا شريك له ، وما جاء به من أُمور وعبادات جديدة على الناس فى مكة .

والفريق الآخر لا يزال على جاهليته يعبد الأصنام التى تحيط بالكعبة فى البيت الحرام ، ويتخذونها آلهة متعدّدة ، يتقرّبونَ إليها بالعبادة ويؤذون النَّبى محمد ﷺ ومن معهُ من المسلمين الذين آمنوا بما جاء به رسول الله ﷺ .

* * *



فتح عبد الله عينيه وسمعه مُنذ طفولته الأُولى وأَبوه عُمَرُ مع الفريق الثانى ، وهو يُعادى المسلمين ويُحاربهم ، ولم يكن لعبد الله مِنْ رأى إلَّا أنه يرى ويَسمع فيتأَلَّم حينما يرى أحداً يشتم المسلمين أو يسبُّهم أو يؤذيهم ، ومِمَّن أُوذى خاله عثمان بن مظعون ، وعَمَّتُهُ فاطمة بنت الخطاب بن نفيل ، وزوجها زيد ابن عمّ أبيه ، وكان ابن عمه عبد الله الذى فى مثل سنِّه ينقل إليه أخبار هؤُلاءِ سرًّا ، فلا يَعْلم عُمر شيئاً من ذلك .

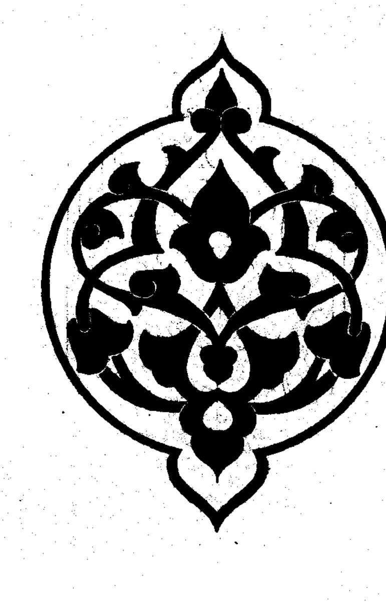
كان عبد الله يشكو إلى أُمِّه زينب بنت مظعون ابن حبيب الجُمحية القرشية ، فتطلب إليه أن يسكت ، ولا يتكلم بهذا أمام أبيه حتى لا يَغضب منه ، وتأْمرهُ أن يصبر حتى يأتى الله بالفَرج ، فينصلح أَمر مكَّة وأهلها ، ويتبعوا جميعهم الدِّين الجديد ، فلقد كانت تميل بقلبها إلى هؤُلاءِ المسلمين .

* * *

وَجاءَ اللَّـهُ بالفَـرج

كان عبد الله (رضى الله عنه) يميل إلى الذين أسلموا ، وكان يتتبَّع أخبارهم ، وقد انتشرت سرًّا فى مكَّة ، فيحزن لحالهم ، ويودّ أن يكون معهم ، لكنه يخاف من عقاب أبيه إن هو أسلم .

وكان أيضاً يتتبَّع أباه ، ويسير خلفه بعيداً عنه ، ليرى ما يفعل بالمسلمين ، فوجده قد دخل دار الندوة ، وقد اجتمع فيها سادات قريش ، وهم يتشاورون فى أمر النبى محمد ﷺ .



فقال واحدٌ منهم : أىُّ رَجُلٍ يَقْتُل محمداً ؟

قال عمر بن الخطاب وقد فاجأ القوم : أَنَا لَهَا .

قال القوم وهم يستغربون ما قاله عمر : أنت لها يا عمر !

قال : نعم .

* * *

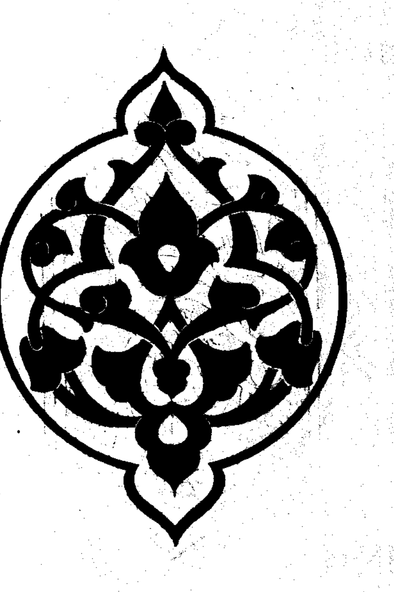
خرج عمر فى الهاجرة فى يوم شديد الحرّ متوشِّحاً سيفه يُريد رسول الله ﷺ ، فلقيه نُعَيم بن عبد الله النحام ، وكان قد أسلم .

فقال : أين تُريد يا عمر ؟

قال عمر : أُريد محمداً لأَقتلهُ ؛ لقد فرَّق أمر قريش ، فعاب دينها ، وسبّ آلهتها .

قال لـه نُعَيم : لقد أخطأت يا عمر ، وهل تعتقد أن بنى هاشم وبنى زهرة [1] يتركونك تمشى على الأرض ؟ الأَوْلَى بك أن تذهب إلى أُختك فاطمة بنت الخطاب وزوجها ابن عمّك ، فقد تركا دينك الذى أنت عليه ، وتبعا دين محمد بن عبد الله ﷺ .

* * *



ذهب عمر إلى دار أُختِهِ ، وزوجها زيد ابن عمّه ، وكان معهما جَمْعٌ من المسلمين ، وقَرَعَ [2] الباب ، قالوا مِنْ داخل الدار : مَنْ تكون ؟

قال : ابن الخطاب ، افتح الباب !

فخافوا واضطربوا،وجرى كل واحد منهم لِيَخْتَبِىءَ ، وكانوا يقرءون فى صحيفة فيها سورة من القرآن ، فتركوها ، ثم رجعت فاطمة لتأخذ الصحيفة وتخبئها .

نادى عمر أُختـه وقال : لعلكما قد صبأتما ؟

قال له ابن عمه وزوج أُختـه : أرأيت يا عمر إن كان الحق فى غير ذلك ... ولم يُكْمِل كلامه ، فقد وثب عليه ، ليشبعه لَكْماً وضرباً ، وجاءت أُخته لتدافع

---

(١) **بنو هاشم** : عائلة محمد بن عبد الله ﷺ ، **وبنو زهرة** : عائلة أُمّه .

(٢) **قَرَعَ الباب** : طرقه بشدة .

عن زوجها ، فضربها عمر على وجهها فَشَجَّهُ ، قالت فاطمة وهى منفعلة غاضبة : يا عدوّ الله ، أتضربنى على أن أُوحد الله ؟!

قال عمر : نعم .

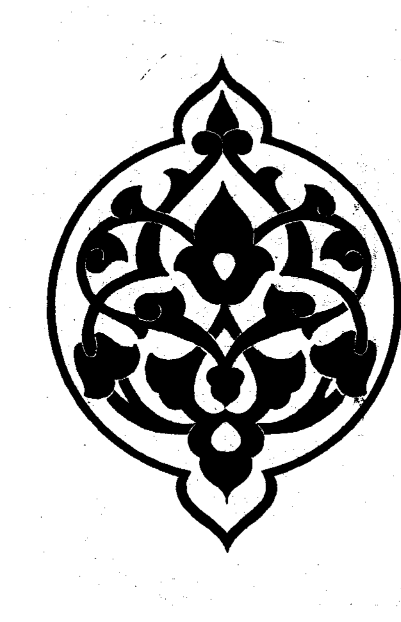
قالت أُختـه : ما كنت فاعلًا فافعل ، وإنى أَشهدُ أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا الله ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ﷺ ، وكان الدَّم يسيل من وجهها .

* * *

جلسَ عُمَر وهو مُتَأَلِّم من ضرب أُخته ، لكنه قال : اعطونى الصَّحيفَة ، فأَخذَ يقرأ ، وكان فيها سورة الحديد (١) ... وقد ظهر الإعجاب الشَّديد على وجهه من بلاغة الآيات ، ثم قال : (ينبغى لمن يقرأ هذا ، أَلَّا يعبد مع هذا الإلٰه غيره) وسكت وقتاً يُفكِّر ... ثم قال وقد ظهر على وجهه علامة الرِّضا : (دُلُّونى على مكان محمد) .

قالوا : إنه أسفل الصَّفا .

كان عبد الله يتتبَّع خطُوات أبيه ، فسار خلفه حتى كان أسفل الصَّفا ، ثم دخل بيتاً هناك ، وقف عبد الله ينتظر ما سيفعل أبوه ، لكنه سمعَ تكبيراً وتهليلًا ، فدخل يجرى ويسأل عَمَّا جرى من عمر والمسلمين .



---

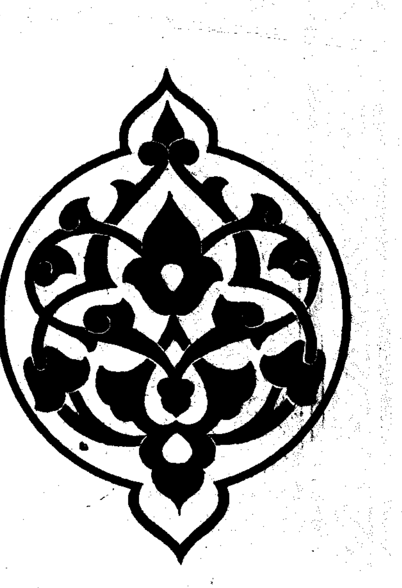
(١) السورة رقم (٥٧) من سور القرآن الكريم .

فقالوا : لقد أسلم عُمر واتبع ما جاءَ به رسول الله ﷺ ، جرى عبد الله إلى رسول الله ﷺ ، فسلَّم عليه ، ونطق بالشهادتين أمام أبيه .

قال عمر لابنه وهو يبتسم : من الذى أمرك بهذا ؟

أجاب الطفل عبد اللّه أباه قائلًا : مضى عَهْد الاستبداد ، ثم أمسك بيد أبيه ، عندما عاد إلى البيت ، وجرى عبد الله جهة أُمِّه ، وقالَ : أُمَّاهُ ! لقد أسلم أبى واتَّبَعَ ما يَدعُوا إليه رسول الله ﷺ ، هَيَّا فانطقى بالشهادتين .

نطقت أُمُّ عبد اللهِ بالشهادتين ، وتم إسلام عمر ، وابنه عبد الله ، وزوجه زينب (رضى الله عنهم جميعاً) .



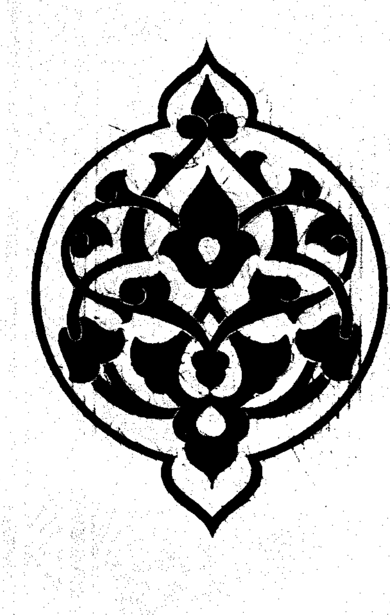
* * *

حُبُّـهُ للنَّبِـيِّ ﷺ

منذ أسلم عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) شغل نفسه وقلبه بِحُبِّ رسول الله ﷺ ، ولم يَكْتَفِ بما كان يُكِنّه قلبه له ، بل كان يدلل على ذلك بمتابعته له ، يفعل مثل ما يفعل ، ويقول مثل ما يقول ، ففى المسجد ينظر إليه ، ويُصلِّى مثل ما يُصلِّى بحركاته فى وقوفه وجلوسه ، وفى ركوعه وسجوده ، فإذا ما قال قولًا ، فإنه يقلده ويقول مثل ما يقول لا ينقص عنه ولا يزيد حتى كان من أحرص الصحابة على النقل فى كل أحاديثه عنه ﷺ .

كان يتتبَّع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله ، ويهتم به .

كان يبحث عن الأماكن التى وقف بها فيقف مثله ، حتى إذا كان النبى ﷺ قد وقف تحت ظلّ شجرة ، فإنهُ يقف فى المكان الذى وقفَ فيه ، ويتعهَّد تلكَ الشَّجرة بالسُّقيا ، فيصب عليها الماء حتى تظل مورقة كما كانت مُنذ أن مرَّ النبى ﷺ بها .



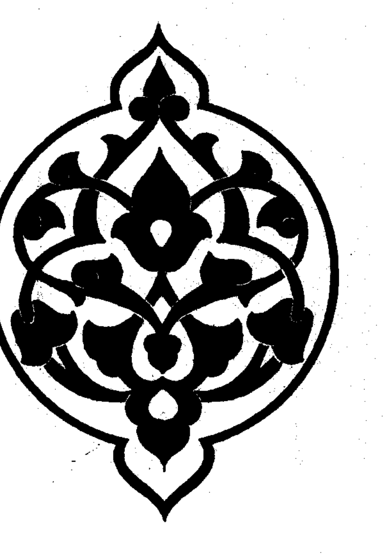
* * *

كان يَتَشَبَّه بالرسول ﷺ فى دُعائه ، فإن كان يَدعُو قائماً دعا مثله قائماً ، وإنْ كانَ جالساً دعا مثله جالساً .

كان إذا مشى فى طريق مشى فيه رسول الله ﷺ ونزلَ كما كانَ ينزل من فَوق دابَّتِهِ ، ويُصلِّى ركعتين كما صلَّى رسول الله ﷺ ، يفعل ذلك إذا جمعهُ سفر بنفس البقعَة والمكان .

بل إنه ليذكر أن ناقة رسول الله ﷺ دارت به دورتين فى هذا المكان بمكة قبل أن ينزل الرسول ﷺ من فوق ظهرها ، ويُصلِّى ركعتين ، يفعل تماماً كما رأى المشْهَد من قبل مع رسول الله ﷺ .





لقد أثار فَرْط [1] اتباع عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أُم المؤمنين عائشة (رضى الله تعالى عنها) فقالت : « ما كان أحدٌ يَتَّبع آثار النَّبى ﷺ فى منازله كما كانَ يتبعهُ ابن عمر رضى الله عنهما » .

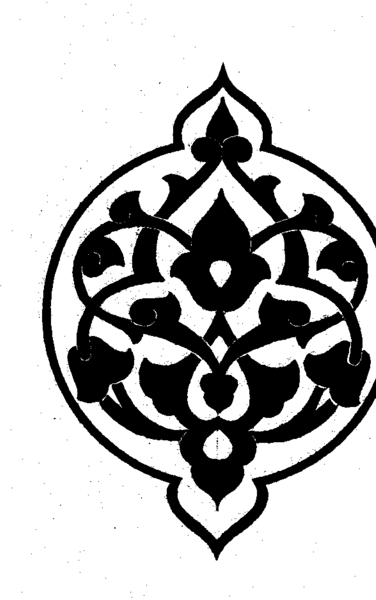
وقال المؤرخ الزبير بن بكار : « كان ابن عمر يتحفَّظ ما سمعَ من رسول الله ﷺ ، وإذا غابَ يسأل من حضَرَ عن قوله وفعله ، وكان يتبع آثاره ﷺ فى كلّ مسجد صلَّى فيه ، وكان يعترض براحلته فى طريق رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته فيه ، لعلَّ خُفَّ ناقته يقع على خُفِّ ناقة رسول الله ﷺ ، وكان إذا وقف بعرفة يقف فى الموقف الذى وقف فيه رسول الله ﷺ » .

---

(١) **فَرْط** : كثرة .

وما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلَّا بَكَى ، ولا مرّ على ربعهم إلَّا غَمّض عينيه .

لقد قضى عُمره الطَّويل على حُبِّه وولائه ، وكان صالح المسلمين يدعو ويقول : « اللَّهُمَّ أَبق عبد الله ابن عمر ما أبقيتنى ، كى أقتدى به ، فإنى لا أعلم أحداً على الأمر الأول غيره » .



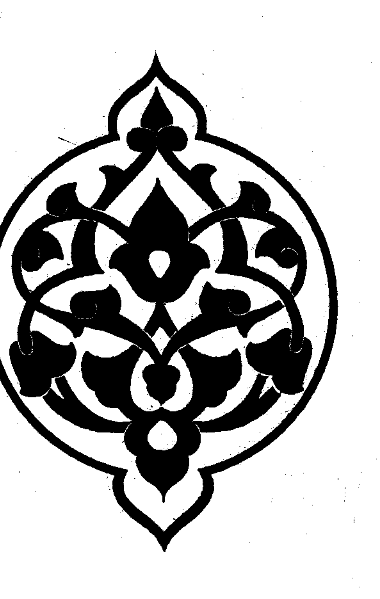
* * *

حُبُّــهُ للْجِهَــاد

كان عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) جيـد الحديث ، فقد أقام ستين سنة بعد رسول الله ﷺ ، فلم يخف عليه شىء من آثار الرسول فى حياته التى عاش فيها معه ، وبعد موته ﷺ من تتبعه لأخباره من صحابته الذين لازموه فنقل عنهم كل ما قاله وفعله ﷺ .

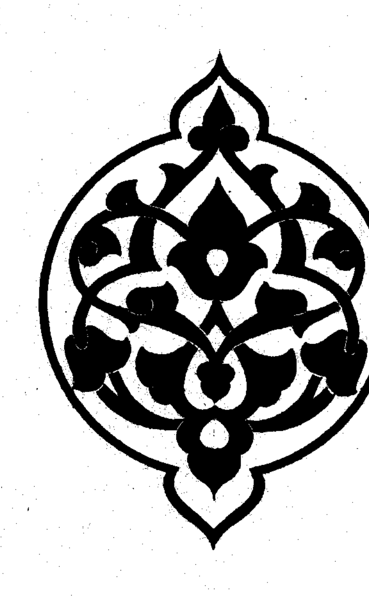
ولقد عُنِيَ عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) بالأحاديث النبوية عناية فائقة ، وكان حريصاً على أن ينقل عن رسول الله ﷺ ما قاله وفَعَلَهُ بكل دقَّة وحرص ، وما شاهده وعلمه من ظُروف ومُلابَسَات قيلَتْ فيها الأحاديث ، ومِمَّا يدلّ على تَثَبُّت ابن عمر (رضى الله عنهما) من روايته ونقلها ما رواه البخارى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : « لَمْ يكنْ أحد من أصحاب رَسُول الله ﷺ أكثر حديثاً منِّى إلَّا ما كانَ من عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) ، فإنهُ كانَ يكتُبْ وأنا لا أكتب ، ومثل عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) مِمَّن يؤمَن عليه الالتباس » .

ولقد قال أبو سلمة بن عبد الرحمن (رضى الله عنه) : « لقد رُوى عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) ٢٦٣٠ حديثاً ، وهذا دليل واضح على



اهتمام ابن عمر (رضى الله عنهما) بأحاديث رسول الله ﷺ » .

هاجر عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) إلى المدينة ، وجاء وقت الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله ، فكان ذلك الوقت وقت الاستعداد لقتال مُشركى مكَّة الذين أخرجُوا المسلمين من ديارهم فراراً بدينهم ، وكان أول لقاء بين المسلمين والمشركين فى غَزْوَة بَدْر الكبرى ، وجرى عبد الله (رضى الله عنهما) وهو فى المدينة إلى قيادة المسلمين وطلب منهم أن يَسمحُوا له بالاشتراك فى قتال المشركين ، ولكن الرسول ﷺ ردَّه ؛ لأنه لايزال صغيراً ، وكان سِنُّه فى ذلك الوقت قد تجاوز العاشرة بقليل .



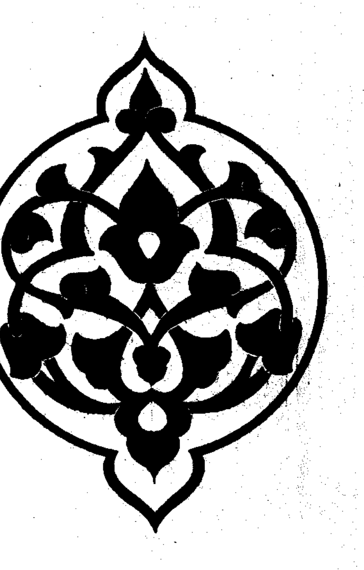


وجاءت غزوة أُحُد وعُرِض على رسول الله ﷺ ، فاستصغره ، ولم يُجِزْه للذِّهاب مع المجاهدين والاشتراك فى القتال ، وقد كان يتشَوَّق للقاء أعداء الإِسلام .

ثم لَمَّا بلغَ الخامسة عشرة ، وكانت غَزْوَة الخَنْدَق ، فذهب إلى القيادة وقَدَّم نفسهُ ، وقد وثق من نفسه ، فابتَسمَ النَّبى ﷺ له ، وأَجازه ، وقام بدوره فى الاستعداد للمعركة ، فلبسَ دِرْعَهُ وأخذَ سيفهُ ، ووقفَ مع المجاهدين ينتظر القتال والاستشهاد فى سبيل الله .

كانت هذه الإجازة شهادة له بأنه أصبح جُنْدِيًّا من جنود المسلمين الذين يَحقّ لهُم أن يحضرُوا المعارك كلَّها فى حياة الرسول ﷺ ، فاشترك فى كلّ غَزْوَة من الغَزَوات .

ولما جاء فتح مكة ، كان فى مقدِّمة الصفُوف ، وكان فرحاً بالعَودَة إلى البلد الذى وُلِد فيه ليرى معالم مكة ، وقد مَكَّن اللهُ المسلمين منها ، فتحطَّمَتْ الأصنام ، وذهبت إلى غير رجعة ، فَسجدَ لله شكراً على نعْمَائه .



وقد تعوَّد عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) على الاشتراك فى الجهاد حتى بعد أن تُوُفِّى رسول الله ﷺ فى عهد الخلفاء الراشدين ، ففى خلافة أبى بكر (رضى الله عنه) قاتل المرتدين ومانعى الزكاة ، وفى عهد الخليفة عمر (رضى الله عنه) شهدَ المواقع كلَّهَا ، وأتى إلى مصر مع الفاتحين ، وفى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضى الله عنه) كان رهن إشارة المجاهدين فى سبيل الله ، فكان مع الفاتحين فى شمال إفريقية ، وشهد فتح نهاوند (١) فى طائفة من المهاجرين والأنصار مع النُّعمَان بن مقرَّن أمير الجيش .

وفى عهد معاوية بن أبى سفيان كان مع الجيش

---

(١) **نهاوند** : مدينة عظيمة فى قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام . (معجم البلدان ٣٦١/٥) .

الذى أرسله معاوية مع ابنه يزيد ؛ لينضم إلى جيش سفيان بن أبى عوف الذى ذهب لغزو القسطنطينية (٢) .

* * *

تَرشيحُ عَبد اللَّه بن عُمَر (رَضىَ اللَّهُ عَنهُمَا) للخِلافَة

لما طعن المجوسىّ الخليفة أمير المؤمنين عُمرَ بن الخطاب (رضى الله عنه) دخلَ عليه نفرٌ من الصحابة فقالوا له : يا أمير المؤمنين لو استخلفت .

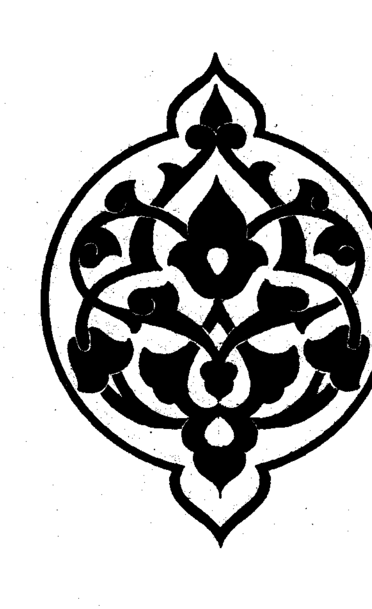
قال عمر (رضى الله عنه) : مَنْ استخلف وذكر اثنين من الصحابة المشهورين وقد ماتا ، وهما أبو عبيدة ابن الجراح ، وسالم مولى أبى حُذيفة (رضى الله عنهما) .

قال رجل : أَدُلُّك على الخليفة ؟..

مَنْ هُوَ يا رجل ؟

قال الرجل : إنه عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) .

قال عمر (رضى الله عنه) : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا ، لا أَرَبَ (٢) لنا فى أُموركم ما حمدتها



---

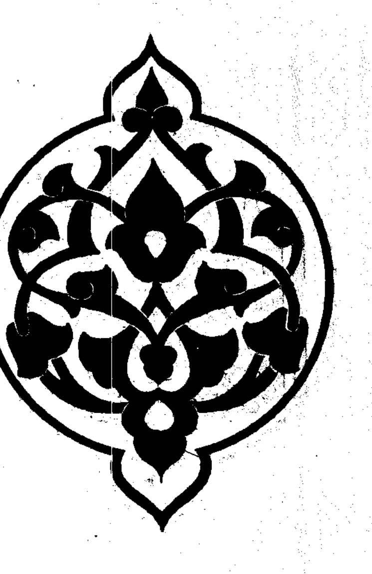
(١) **القسطنطينية** : دار ملك الروم . (معجم البلدان ٤/٣٩٥) .

(٢) **أرب** : حاجة .

لأرغب فيها لأحد من أهل بيتى ، بحسب آل عمر أن يُحاسَب منهم رجل واحد ، ويُسأل عن أمر أُمَّـةِ محمد ﷺ .

فلا عجب أن نرى عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) يزهد فى الخلافة ، زهد أبيه فيها .

* * *



لقد عرضت الخلافة على ابن عمر (رضى الله عنهما) مرَّات وهو يُعرض عنها ، وهُدِّد بالقتل إن لم يقبل ، فازداد لها رفضاً .

يقول الحسن (رضى الله عنه) : « لَمَّا قُتل عثمان ابن عفان (رضى الله عنه) ، قالوا لعبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) : إنك سيد الناس ، وابن سيد الناس ، فاخرج نبايع لك الناس » ...

قال : إنى والله لئن استطعت لايُهرق بسببى محجمة [1] دم مسلم .

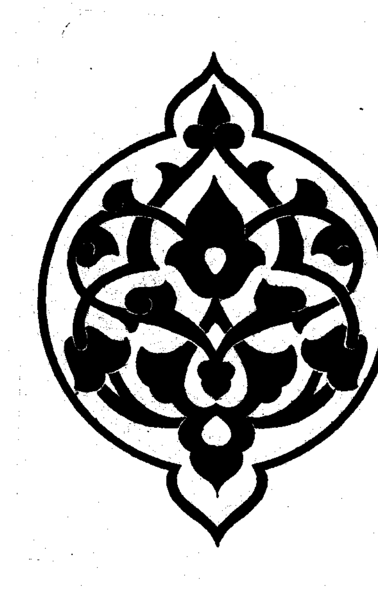
* * *

---

(١) **محجمة** : موضع الحجامة .

رَفْضُ ابن عُمَر (رَضِيَ اللَّـهُ عَنهُمَا) القَضَــاء

رفضَ عبـد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أَنْ يتولَّى القَضَاء حتى لا يقضى بين الناس فيقع فى خَطإٍ يكون سبباً فى استحقاق الغَضب من الله ، وكان يرى أَنَّ الأَوْلَى به أن يبتعد عن طريق الحُكْم بين النـاس وفضّ المنـازعات خوفاً من الله ، وصيانة لنفسه من الزّلل الذى قد لا تحمد عقباه .



أراد الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) أن يُولِّيه على القضاء وقال له : اذهب فكن قاضياً .

قال عبـد اللَّـه (رضى الله عنه) : أو يعفينى أمير المؤمنين ؟

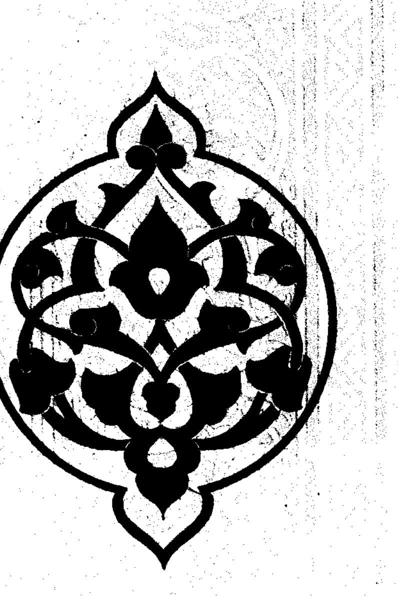
قال الخليفة : إنى أعـزم عليك .

قال عبـد اللَّـه (رضى الله عنه) : لا تعجل علىّ ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ عَاذ بالله فَقَدْ عَاذ مُعَاذاً » ؟!

قال عثمان (رضى الله عنه) : نعـم . فما تكره من ذلك ، وقد كان أبوك يقضى ؟

قال ابن عمر (رضى الله عنهما) : إنى سمعت

رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ كانَ قاضياً يَقْضى يجور [1] كانَ من أَهل النَّار ، ومَنْ كانَ قاضياً بجهل كانَ مِنْ أَهل النَّار ، ومَنْ كانَ قاضياً عالماً يقضى بالعَدْل فبأحرى أَن يَنقَلب كفافاً - أى لا وزر ولا أجر - فما أصنع بذلك ، وإنى أخاف أن أقع يوماً فى خطأ أو جهل ، فأكون عُرضة للنار ، فالأَوْلى بى أن أبتعد عن هذا الطريق .



فأعفاه عثمان (رضى الله عنه) من ذلك بعد أن أَخذَ عليهِ عَهْداً ألَّا يُخبر أحداً ، فعثمان (رضى الله عنه) يَعلَم مكانة ابن عمر (رضى الله عنهما) فى أفئدة الناس ، وإنه يَخشى إذا عرفَ الأتقياء الصّالحونَ رَفْض ابن عمر (رضى الله عنهما) أن يتابعوه وينهجوا منهجه وعندئذ لا يجد الخليفة تقيًّا يعمل قاضياً .

* * *

(١) **يجور** : يظلم .

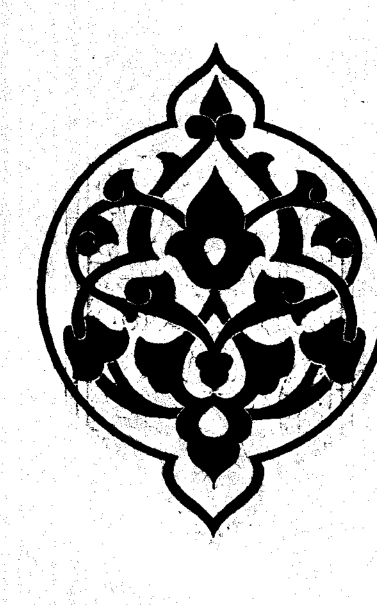
رَفْضُ ابنُ عُمَر (رضى اللَّـهُ عَنهُمَا) الوِلاَيَـة

رفض ابن عمر (رضى الله عنهما) أَنْ يتولَّى مَنصبَ الوالى على الشَّام فى زمن كَثُرتْ فيه الفِتَن ، وانقَسَمتْ البلاد إلى طوائف انْحازَتْ كل طائفة إلى جهة ، فأَرادَ ابن عُمر (رضى الله عنهما) أن يبتعد عن هذا الخلاف فى أواخر عهد الخليفة الرابع على بن أبى طالب (رضى الله عنه) .

قال لـه الخليفـة علىّ (رضى الله عنه) : يا أبا عبد الرحمن إنك رجلٌ مُطَاع فى أهل الشام ، فسر إليهم فقد أَمَّرتُكَ عليهم .

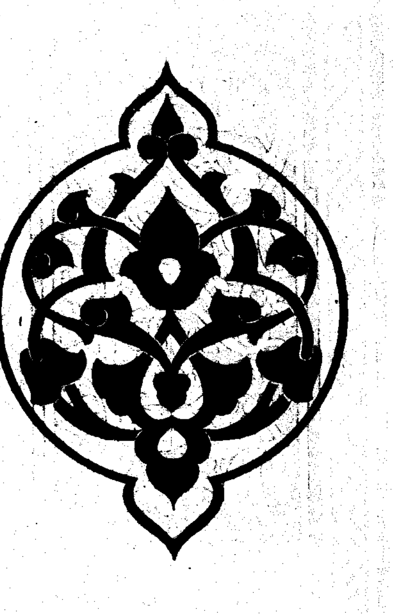
قال ابن عمـر (رضى الله عنهما) : أُذكِّرك الله ، وقرابتى من رسول الله ﷺ ، وصحبتى إيَّاه إلَّا ما أعفيتنى .

أَبَى علىّ (رضى الله عنه) إلَّا أن يذهب كما أمره ، فذهب إلى أُخته السيدة حفصة أُمّ المؤمنين (رضى الله عنها) واستعان بها كىْ يَستجيب علىّ (رضى الله عنه) له فيبعدهُ عن الولاية ، لكن عليًّا (رضى الله عنه) أَصَرّ على أن يذهب إلى الشام ، فخرج ابن عمر (رضى الله عنهما) سرًّا إلى مكة .



حُسْنُ مُعَامَلة ابن عُمَر
(رَضِىَ اللَّهُ عَنهُمَا)

كان ابن عُمر (رضى الله عنهما) حَسَنَ التعامل مع الناس ؛ لأن حُسْن التعامل عنوان كل مسلم تَقىّ ، وكان فى معاملته تَطوّع ومحبّة ، فهو لا يتعالَى ولا يتكبّر ، بل يجعل من نفسه واحداً لا يفضل على غيره فيقابل من يصنع معه جميلًا بأحسن منه .



كان إذا استقرض شيئاً وفاه أحسن منه فى القدر أو فى الصِّفة ، فعن عطاء مولى ابن سباع قال : أقرضت ابن عمر (رضى الله عنهما) ألفىّ درهم ، فبعث إلىّ بألفىّ درهم وافٍ ، فوزنتها فإذا هى تزيد مائتى درهم ، فقلت : ما أرى ابن عمر (رضى الله عنهما) إلَّا يجربنى ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن إنها تزيد مائتى درهم .

قال : هى لك .

* * *

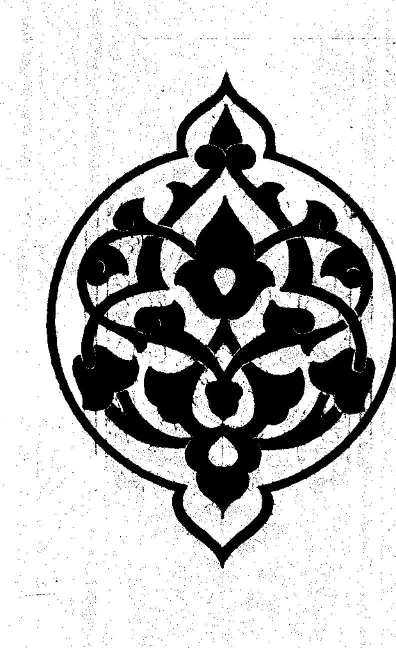
كان إذا خرج مع تلاميذه فى سفر أو نحوه يخدمهم كما يخدمونه حتى قال مجاهد بن جبر : صحبت ابن عمر (رضى الله عنهما) وأنا أريد أن أخدمه ، فكان يخدمنى أكثر ، كان حليماً ، وكثيراً ما كان يكتم

غيظه ، فلا يثور على أحد لخطأ وقع فيه ، وكان إذا شتم إنساناً لسبب ما ، فإنه يعتذر إليه .

سُئِلَ ابن عمر (رضى الله عنهما) : ما حق الصديق على الصديق ؟

قال : لا تَشْبع ويَجُوع ، وتَلْبس ويَعرى ، وأن تُواسيه بالبيضَاء والصَّفراء [١] .

* * *



عَطْفُهُ عَلَى الأَيتَام

كان حسن المعاملة مع اليتامى خاصة ، فكان لا يأكل إلَّا على خوانه [٢] يتيم ، وكان إذا تغذَّى أو تعشَّى دعا من حوله ممَّن عُرف من اليتامى ، فتغذَّى ذاتَ يومٍ فأَرسل إلى يتيم فلم يَجدهُ ، وكانت له سويقة [٣] محلَّاة يشربها بعد غذائه ، فجاءَ اليتيم ، وقد فَرَغُوا من الغذاء ، وبيده السّويقة ليشربها ، فناولها لليتيم وقال : خُذْها فما أراك غُبنت [٤] .



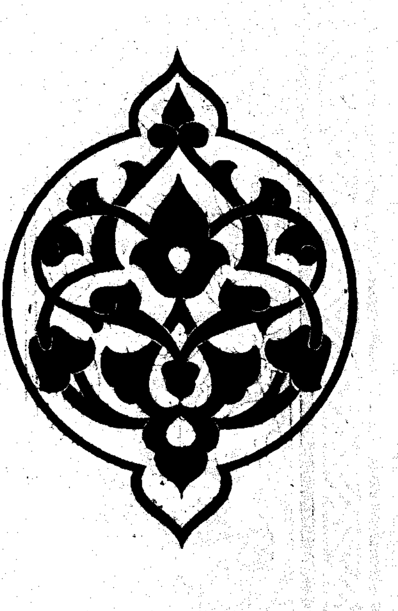
---

(١) يعنى الفضة والذهب .
(٢) **الخوان** : ما يؤكل عليه .
(٣) **السويق** : طعام حلو يُصنع من الشعير .
(٤) **الغبن** : الغش .



شَخْصِيَّةُ ابن عُمَر (رَضِىَ اللَّـهُ عَنهُمَا)

تتكون الشَّخصية من جملة الأقوال والأفعال التى يعملها الإنسان ، وتجدها ظاهرة وواضحة فى ابن عمر (رضى الله عنهما) ، وقد ميزته عن غيره من الناس وجعلته محط الأنظار للدِّراسة والقُدوَة ، فقد عُرِف بشدة الخوف من الله ، وهو الأساس الذى بنى عليه حياته ، وجعله أمامه فى كل ما يقوم به من عمل ، فكان شَديد الوَرع كثير العبادَة ، ملازماً للدُّعاء والابتهال والتَّضرع إليه سبحانه وتعالى .



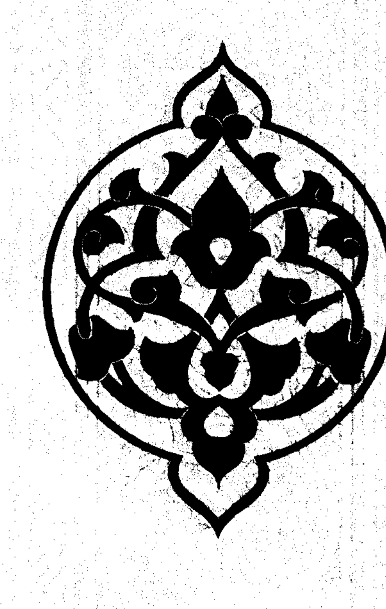
وكانت شدَّة الخوف من ربّه سبحانه وتعالى جعلته يَسلُك سبيلًا قد لا يسلكه الناس ، فقد ترك السياسة والجرى وراء المناصب الدنيوية ، فلم يدخل فى شىء من أُمور الخلاف بين الصحابة ، وقد كثر الخلاف فى أيامه ، ولم يطلب منصباً دنيويًّا ، لكنه زهد فى كل ماله صِلَة بالحياة الدّنيا ، لذلك كانت منزلته بين الصحابة وسائر المسلمين منزلة رفيعَة يَحترمه الناس ، ويجلُّونه ، لا لأنه ابن الخليفة العظيم عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فحسب ، ولكن لصفَاته وأخلَاقه التى عُرف بها ، وأَحبّه الناس من أجلها حتى إنَّهم إذا استعرضوا أى منصب مهمّ يكون صاحبه مسئولًا عنه ، رشحوا له فى

مقدّمة قائمة الأسماء عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) .

وهذا جانب من أقواله وأفعاله للقُدوَة ، ولينتفع به من يريد الهِدَاية والتَّقوَى والسَّعادة فى الدنيا والآخرة .

* * *

خَوفُهُ مِنَ اللَّه



كان ابن عمر (رضى الله عنهما) شديد الخوف من الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، ولم يكن خوفه من الله مظهراً يتظَاهر به أمام الناس لينال به منزلة عندَهُم ، أو ابتغَاء منفعة دنيوية يَستدر بها مالًا أو جاهاً ، ولكن ابن عمر (رضى الله عنهما) كان خوفه من الله صادقاً فيه لا يبتغى به إلَّا وجه الله تنفيذاً لما أمر به ونهى عنه ، ظهر هذا الخوف فى قراءته للقرآن ، وتأمله للآيات التى فيها العذاب والنار ، فيبكى ، ويشتد نحيبه (١) .

قال نافع وكان شديد الملازمة لابن عمر (رضى الله عنهم) : كان عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) يقرأ فى صلاته فيمرّ بالآية فيها ذكر النار فيقف عندها فيدعو ويستجير بالله منها ، وكان إذا قرأ : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ... ﴾ (٢) ، فيبكى حتى يغلبه البكاء ويستولى عليه .

---

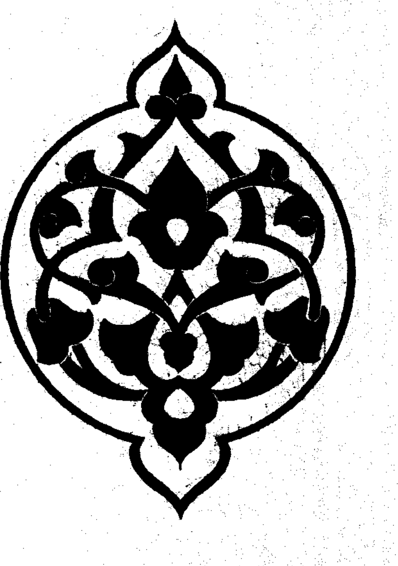
(١) البكاء الشديد .

(٢) سورة الحديد ، الآية (١٦) .

وقال نافع أيضاً : ما قرأ ابن عمر (رضى الله عنهما) الآيات التى فى آخر سورة البقرة إلَّا وبكى ﴿ ... **وَإِن تُبْدُواْ مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ** ... ﴾ إلى آخر السورة[1] ، ثم يقول : إن هذا الإحصاء شديد .

* * *

عَفْوهُ وَتَسَامُحه



رُوِىَ أنه أذنب خادم لعبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) ، فأوقفه بين يديه وأمر بضربه .

فقال له العبد : أما بينك وبين الله ذنب فأمهلك وعفَا عنك ؟

فقال عبد اللَّه بن عمر (رضى الله عنهما) : نعم والله ذنوبى كثيرة .

فقال الخادم : فكما عفا عنكَ ، اعْفُ عنِّى .

فخشى ابن عمر (رضى الله عنهما) من ربه وتركه .

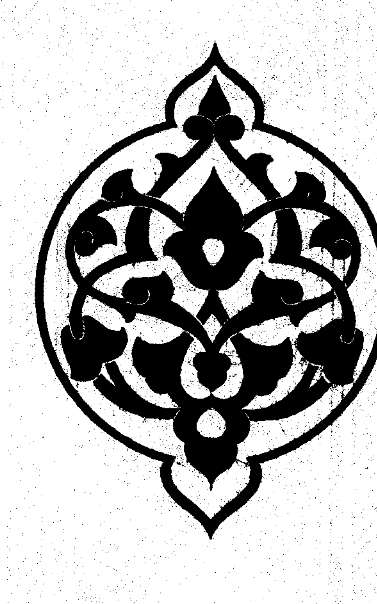
* * *

(١) سورة البقرة ، الآيات (٢٨٤ - ٢٨٦) .



عِلْمُــهُ وَفِقْهــهُ

ابتعد عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) عن السَّعى وراء المناصب ، فلم يَسْعَ ليأْخُذ خلافة ، أو ولاية أو منصباً للإفتاء ليجنى من ورائه منفعة دنيوية أو لاقتناء مال ، لكنه ترك كل هذا ليتفرَّغ للعلم ودراسته ، وللعُلَماء يأخذ عنهُم ما شاء الله لهُ مِنَ العلم بأحكام الشَّريعة المتمثلة فى الفقه والقانون الإسلامى ، فاتبع خطة واعية فى جمع أحكام الشريعة .



وكانت خطته فى استنباط واستخلاص الأحكام أن يرجع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى ، فإذا لم يجد فيه ما يريده ، رجع إلى السُّنَّة النبويَّة ، فإن لم يجد أخذ باجتهاد الصحابة ، فكان يوافقهم إذا اتفقوا على رأى واحد ، أما إذا اختلفوا فإنه يختار من بين آرائهم ما يراه حقًّا ، وهذا مثل من الأمثال التى اختلف فيها الصحابة ، فقد روى عمرو بن شعيب : أن سارقاً نقب [1] خزانة ابن وادعة ، فَوُجِدَ فيها قد جمع المتاع ولم يخرج به ، فأتى ابن الزبير (رضى الله عنهما) فجلده ، وأَمَر أنْ تُقطَع يده .

فَمَرّ ابن عُمر (رضى الله عنهما) فسأله ، فأُخْبرَ ، فأتى ابن الزبير (رضى الله عنهما) فقال : أَمْرتَ أن يُقْطَع ؟

---

(١) **نقب** : أى أحدث ثقباً .

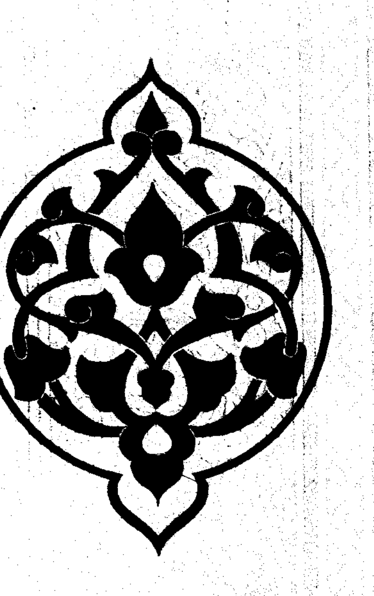
قال : نعم .

قال ابن عمر (رضى الله عنهما) : ليس عليه قطع حتى يخرج به من البيت !

وكان هذا اجتهاد منه بالقياس .

* * *

ولقد تأثر عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) فى مسائل كثيرة من الفقه بأبيه عمر (رضى الله عنه) حتى قيل : « كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله ، وأشبه ولد عبد الله بعبد الله ابنه سالم » ، وكان سالم هذا أحد فقهاء المدينة السبعة من سادة التابعين .



روى أَنَّ رجلًا سأل ابن عمر (رضى الله عنهما) عن أَعْوَر فُقِئَتْ عينه خطأ ؟

فقال عبد اللّه بن صفوان : قضى فيها عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) بالدية .

فقال الرجل : إنى لست إياك أسأل إنما أسأل ابن عمر (رضى الله عنهما) .

فقال ابن عمر (رضى الله عنهما) : يحدثك عن عمر وتسألنى !!

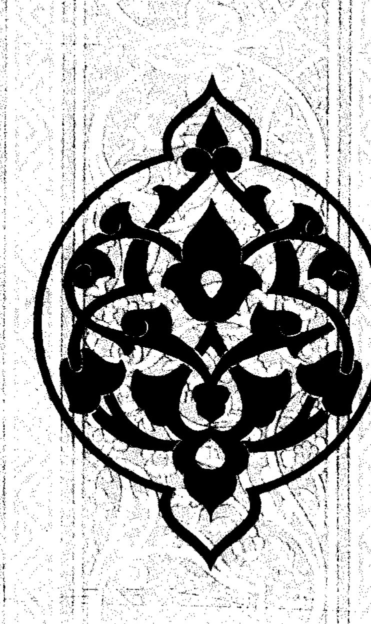


مَكَانَتـهُ وَالثَّنَـاء عَلَيـهِ

كان عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) على درجة كبيرة من التَّقوى والزُّهْد والوَرْع والتقشّف فى جميع مناحى حياته فى المطعم والملبس وحتى فى أثاث بيته ، ويكفى أن نعلم أنهم قالوا : « لو جُمعَ كلّ ما فى بيت ابن عُمر (رضى الله عنهما) من الأثاث لما زادت قيمتهُ على مائة درهم » .

شَهدَ له بذلك رسول الله ﷺ ، وكل أصحاب رسول الله ﷺ الذين عرفوه وكبار التابعين .

أما ما شهدَ به رسول الله ﷺ ، فقد جاء فى الصحيحين ما روى عن ابن عمر(رضى الله عنهما) قال : « كانَ الرَّجُل فى حياة رسول الله ﷺ إذَا رأَى رؤْيا قصَّها على رَسُول الله ﷺ ، قال : وكنت غُلَاماً شابًّا عزباً ، فكنتُ أنام فى المسجد على عَهْد رَسُول الله ﷺ ، فَرأَيتُ فى النَّوم كأَنَّ ملكين أَخذَانى فذهبا بى إلى النَّار ، فإذا هى مَطْويّة كَطيّ البئر ، وإذا لها قَرنَان ، وأرى ناساً قد عرفتهُم فجعلت أقول : أَعوذُ بالله مِنَ النَّار ، أَعوذُ بالله مِنَ النَّار ، فلقيهما مَلَكٌ آخر ، فقال لى : لن تُراع [1] ، فقصصتها على حفصة (رضى الله



(١) الروع : الخوف والفزع .

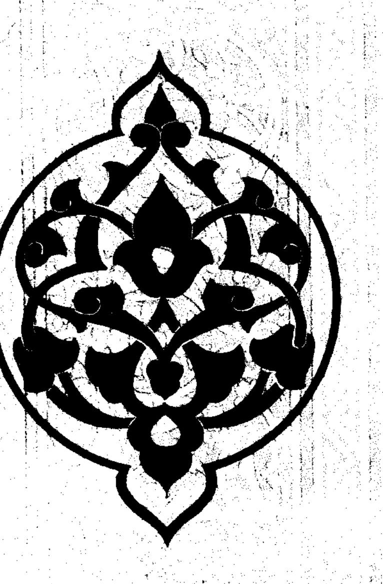
عنها) ، فقصتها على رَسُول الله ﷺ فقال : نِعْمَ الرَّجُل عبد الله لو كان يُصَلِّى من اللَّيل »[1].

أما شهادة الصحابة ، فيكفى ما قاله عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) فإنه قال : « إنَّ من أملك شباب قُريش لنفسه عن الدّنيا عبد الله بن عُمر ، وقالَ أيضاً : « ما منا أحد أدرك الدنيا إلَّا وقد مالت به إلَّا ابن عمر » .

أما شهادة التابعين ، فإن سعيد بن المسيب قال فى عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) : « لو أَشْهَد لأَحد من أهل الجنَّة لشَهِدْت لابن عمر » .

وهذه شهادة غالية لابن عمر (رضى الله عنهما) من الذين عرفُوه وتتَّبعُوا أعماله .

وإذا كان كثرة التلاميذ تدل على علُوّ منزلة الأُستاذ ، فإن كثرة تلاميذ ابن عمر (رضى الله عنهما) قد فاقت أمثاله ، وهذا عنوان تفوقه وتَبَحُّره ، ويكفينا أن نعلم أن الذَّهبىّ عدّ فى كتاب (سير أعلام النبلاء) مائتين وسبعة وعشرين عالماً ممَّن حملُوا العلم عن ابن عمر (رضى الله عنهما) ، وأن الذين حملوا عنه العلم من أهل مصر وحدها أكثر من أربعين شخصاً .



* * *

---

(١) رواه البخارى [٦١/٢ (٥٧١)] ، ومسلم (١٩٢٨) ، (١٩٢٩) .

مِنْ كَلمَاتِه وَقَصَصِهِ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنهُ)

● إذا كان الحاكم عادلًا فله الأَجر ، وعليك الشكر ، وإذا كان الحاكم جائراً فله الوِزْر ، وعليك الصَّبر .

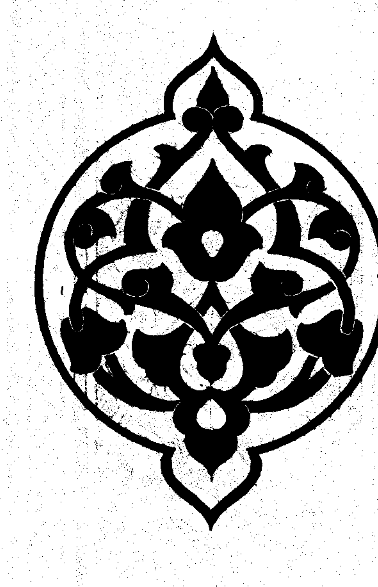
● سُئِلَ ابن عمر (رضى الله عنهما) عن الرجل يدخل المسجد أو البيت ليسَ فيه أحد ؟

قال : يقول : السلام علينا ، وعلى عباد الله الصالحين .

● قيل لابن عمر (رضى الله عنهما) : ماتَ زيد ابن حارثة وترك مائة ألف ؟

قال : لكنها لا تتركه .

يعنى أن الإنسان سيحاسب على الأموال التى يتركها للورثة . من أينَ جمعها ، أمن حلال أم من حرام ؟ وهل أدَّى زكاتَهَا ؟



● كان ابن عمر (رضى الله عنهما) إذا أصبح قال : « اللَّهُمَّ اجعلنى مِنْ أفضَل عبَادك نَصيباً من كلّ خيرٍ تقسمه الغداة ، ونورٍ تَهدى به ، ورحمةٍ تنشرها ، ورزقٍ تبسطه ، وخيرٍ تكشفه ، وبلاءٍ ترفَعه ، وخيرٍ تكشفه » .

● سُئِلَ عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) : ما حق الصَّديق على صَديقه ؟

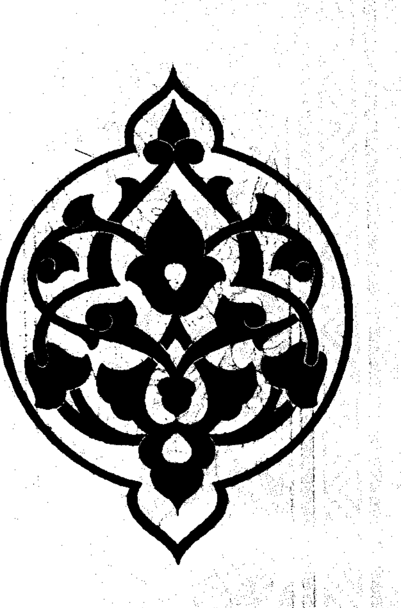
قال : لا تَشبع ويَجُوع ، وتَلبس ويَعرى ، وأن تُواسيه فى الشِّدة والرَّخاء .

● **قال له رجل** : يا خير الناس ، أو يا ابن خير الناس .

فقال ابن عمر (رضى الله عنهما) : ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكنى عبد من عباد الله تعالى وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .

(ولقد نَهَى رَسُول الله ﷺ عن مَدْح النَّاس فى وجُوههم) .

● **قال ابن عمر** (رضى الله عنهما) : خلف الوعد ثلث النِّفاق ، وصدق الوَعد ثلث الإيمان ، وما ظنك بشىء جعله الله مِدْحَة فى كتابه ، وفخراً لأنبيائه ، فقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ** ... ﴾ [سورة مريم : ٥٤] .



● حكى أن ابن عمر (رضى الله عنهما) شربَ ماءً مبرداً فبكى ، فاشتدّ بكاؤه .

فقيل له : ما يبكيك ؟

فقال : ذكرت آية فى كتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ - قالها سبحانه وتعالى فى أهل النار وهم فيها : ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ** ... ﴾ [سورة سبأ : ٥٤] .

فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتهم الماء ، وقد قال الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿ ... **أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ... ﴾ [سورة الأعراف : ٥٠] .

● حكى الطفيل بن أبى كعب : أنه كان يأتى عبد الله ابن عمر (رضى الله عنهما) فيغدو معه إلى السوق ، قال : فإذا غَدَوْنا إلى السُّوق لم يمرّ ابن عمر (رضى الله عنهما) على إنسان لهُ حاجة ولا صاحب بيعة ولا مسكين إلَّا سلَّم عليه .

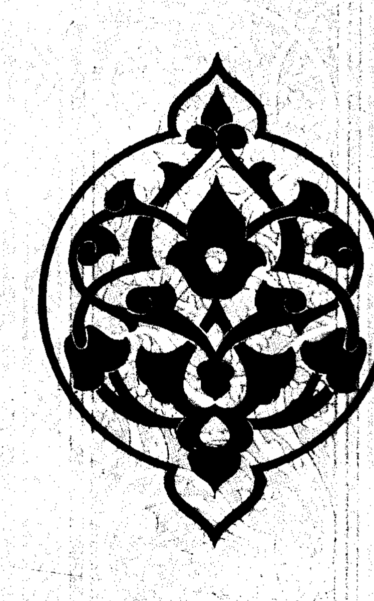
فقلت : ما تَصنع بالسّوق ، وأنت لا تقف على البيع ، ولا تسأل عن السِّلَع ، ولا تسوم بها ، ولا تجلس في مجلس ؟

فقال لى عبد اللّه بن عمر (رضى الله عنهما) : يا أَبْطَن (وكان الطفيل ذا بطن) إنما نَغدُو من أجل السلام ، فسلِّم على من لقيت .

وإن ديننا الحنيف يأمُرنا أن نُلقى السَّلام على من عرفنا ومن لم نعرف ، ويعدنا بالثواب الجزيل على ذلك .

رحم الله ابن عمر ورضى عنه .

* * *



اسْتِشْهَادهُ وَوَفَاتُه

إنَّ من يموت بعلَّة خارجة عن إرادته فإنهُ يكون شَهيداً عند الله ، والله يُحبُّ أن يلقاه الصَّالحون وهُم شُهداء فى سبيله ، ولقد استشهد من قبل أبو عبد الله عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فقد قتله أبو لؤلؤة المجوسى ، واستشهد الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ، فقد قتلته الطائفة الباغية ، واستشهد علىّ ابن أبى طالب (رضى الله عنه) فقد قُتل ظُلماً وعُدْواناً ، ويشاء الله أن يستشهد أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) ، فقد مات مسموماً .

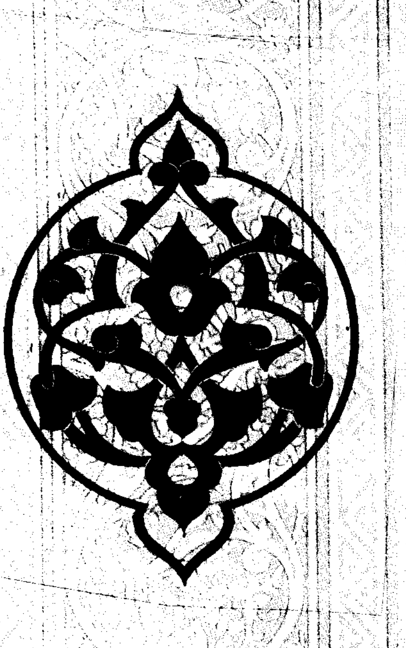
كان فى مكة فى أيام الحجّ ، والناس تعرف فضله ومكانته وعلمه الغزير ، بأيام الحج وأماكنه ، زيادة على



بركة الرجل الذى لم يشترك فى الفتن والسّعى وراء المناصب .

وكان عبد الملك بن مروان الذى تولى خلافة بنى أُميَّة قد أَرسلَ قائده الحجَّاج بن يوسف الثقفى أميراً على الحج ، وكان المفْرُوض أن الذين يحجُّونَ يلتفون حولَ الأمير ، ولكنّ الناس تركوا الأمير والتفوا حول ابن عمر (رضى الله عنهما) ، وانصرفوا عن الحجاج .

* * *



عزّ ذلك على الحجَّاج ، وكان ابن عمر (رضى الله عنهما) يتقدَّمهُ فى المواقف بعَرفَة وغيرها إلى المواقف التى كانَ النبى ﷺ وقفَ عليها ، فأَمرَ الحجاج رجلًا معهُ أن يضربه بحربة كانت مسمومة ، فلما اندفعَ الناس من عرفة ، لصق ذلك الرجل بابن عمر (رضى الله عنهما) فأمرّ الحَرْبَة على قدمه فمرضَ منها أياماً ، فدخل عليه الحجاج يعوده .

فقال : سَمَّك يا أبا عبد الرحمن ؟

قال ابن عمر (رضى الله عنهما) : وماذا تصنع به ؟

قال الحجاج : قتلنى الله إن لم أقتله !

قال : ما أراك فاعلًا ، أنت أَمَرْت مَنْ نخسنى بالحربة .

قال الحجاج : لِمَ تقول هذا رحمك الله ؟

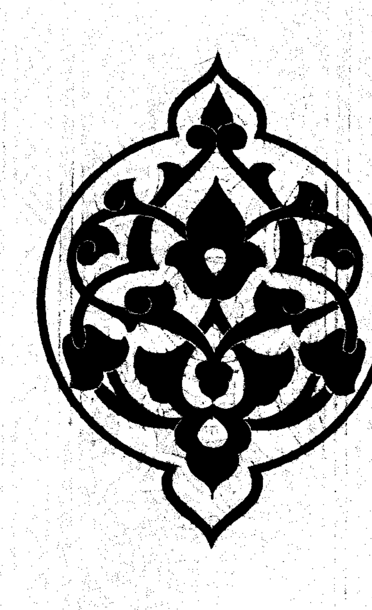
فلبث ابن عمر (رضى الله عنهما) أياماً ، ثم مات .

ولما حضرته الوفاة أمرهم أن يدفنوه ليلًا ، ولا يُعْلم

الحجاج لئلَّا يُصَلِّى عليه ، ولكن الحجاج عَلِمَ بِمَوْته ، وصَلَّى عليه عند باب الرَّدم ، ودُفن فى مقبرة المهاجرين بفخ ذى طوى .

كان عمره ثلاث وثمانون سنة ، ونزل فى قبره سعيد بن زيد ، وكان ذلك سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . رحمه الله ، ورضى عنه .

* * *



وَإِلى اللّقاءِ بمَشيئَةِ اللهِ مَعَ ..

عَبد الله بن عَمرو

قارئ الكتابين

دَارُ الفضيلةِ
لِلنشرِ وَالتوزيع وَالتصْدِيرُ

الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمّد يوسُف القاضى - كليّة البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهوريّة - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات ، دُبى - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

رقم الإيدع بدار الكتب المصرية ٧٣٠٧ / ١٩٩٦م